من إصدارات الخدمة الدعوية

4

الأئمة الأربعة الأعلام

للشيخ

أبي بلال يوسف بن صالح بن فاضل

1444هـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أمر بالتذكير وأخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين، وأنكر على الذين يُعرِضون عن التذكير فقال: (فما لهم عن التذكرة معرضين) والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، فدعا إلى الله وذكّر بأيام الله وبلّغ البلاغ المبين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أمّا بعد: -

نضع بين أيديكم كتاب "الأئمة الأربعة الأعلام" لشيخنا الفاضل أبي بلال

يوسف بن صالح بن فاضل حفظه الله تعالى

نسأل الله أن يجعل هذا العمل

خالصاً لوجه وأن ينفع به.

١٤٤٤هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى

أولاً: التعريف بشخصيته:

اسمه: النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي.

وإنّما كُنِّيَ بأبي حنيفة لملازمته الأداوة –وهي ما يُكتب بها– والدواة بلسان أهل العراق تُسمّى حنيفة فلُقّبَ بـ أبي حنيفة لهذا.

وُلِدَ رحمه الله سنة ٨٠هـ ولَقِيَ صغار الصحابة من الذين عُمِّروا كـ أنس بن مالك رضي الله عنه، فلذلك يُعد أبو حنيفة من التابعين لأنه رأى بعضاً من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: ثناء العلماء عليه:

وكان عالماً فاضلاً أثنى عليه العلماء فمن أولئك الفضيل بن عياض رحمه الله فقد قال: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً معروفاً بالفقه مشهوراً بالإفضال واسع المال.

فقد كان رحمه الله غنيّاً يتاجر ولكن لم تمنعه التجارة من العلم والعبادة.

ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه سير أعلام النبلاء هذا الخبر:

قال أبو يحيى الحماني: سمعتُ أبا حنيفة يقول: رأيتُ رؤيا أفزعتني، رأيتُ كأني أنبش قبر النبي –صلى الله عليه وسلم– فأتيتُ البصرة، فأمرتُ رجلاً يسأل محمد بن سيرين فسأله، فقال: هذا رجل ينبش أخبار رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

وقال عنه يحيى بن القطّان: جالستُ أبا حنيفة ورأيتُه فكنتُ إذا نظرتُ إلى وجهه عرفتُ أنه رجل يتّقي الله.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة.

قال أبو معاوية الضرير: حُبُّ أبي حنيفة من السنّة.

ثالثاً: عبادته:

قال أسد بن عمر: صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء صلاة العشاء اربعين سنة فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة.

يقول أبو عاصم النبيل: كان أَبُو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته.

عن القاسم بن معن: أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] ، ويبكي ويتضرّع إلى الصباح.

رابعاً: ورعه:

قال عبدالله بن المبارك رحمه الله: دخلتُ الكوفة فسئلتُ عن أورع أهلها فقيل لي: أبو حنيفة.

قال علي بن حفص البزاز: كان حفص بن عبدالرحمن شريك أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة هو الذي يقوم بشراء البضاعة، فبعث إليه في رفقة بمتاع، وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيباً، فإذا بعتَه فبيّن العيب، فباع حفصٌ المتاع ونسِيَ أن يبيّن العيب، ولم يعلم من اشتراه، فلم علِمَ ابو حنيفة بذلك تصدّق بثمن المتاع كله.

خامساً: اتباعه للسنّة وتعظيمها لها:

يقول رحمه الله: إذا جاء الحديث وصحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة أخترنا ولم نخرج عن أقوالهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم.

ويقول رحمه الله: قدمتُ مكة فلقيتُ عطاء بن أبي رباح فسألتُه عن أشياء فأجابني ثم قال لي: من أين أنت؟ فقلتُ له: من الكوفة. فقال لي: من القرية التي فرّق أهلها دينهم شيعاً، قلتُ: نعم رحمك الله، فقال لي: فمن أي الأصناف أنت؟ فقال أبو حنيفة: لا أسبُّ السلف، ولا أكفّر بذنب، وأعظّم السنّة.

فقال عطاء رحمه الله: قد عرفتَ فالزم رحمك الله.

سادساً: ابتلاؤه ووفاته:

في آخر عمره رحمه الله أُمتحِنَ بالقضاء فقد طُلِبَ منه أن يتولّى القضاء فرفض، فأتى المنصور –وقيل غيره من خلفاء بني العباس–فضربه مائة سوط وعشرة اسواط على أن يتولى القضاء وهو يرفض ويهرب من ذلك؛ حتى قيل أنه دُسَّ له السُمّ في شراب فعرف أن الشراب مسموم فأبى أن يشرب، وقال: لا أهلك نفسي.

فأُكرِه على شربه فلما عرف أنه ميّت –قال من روى القصة–خرَّ رحمه الله ساجداً لله ومات وهو ساجد!! في سنة ١٥٠هـ وبهذا يكون عاش ٧٠ سنة رحمه الله تعالى، ولم يخلّف من الأولاد إلّا ولداً واحداً وسمّاه حمّاد، وكان حمّاد ورعاً فقيهاً عالماً ربّانياً، وأنجب حمّاد اسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة فكان قاضي البصرة.

الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى

أولاً: التعريف بشخصيته:

نحلّق في سماء المدينة النبوية، ونعيش مع إمامها، إمام دار الهجرة، مع الشاب الأصبحي مالك بن أنس رحمه الله.

اسمه: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري.

ولد: سنة ٩٣هـ وهي السنة التي توفي فيها خادم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثانياً: بداية طلبه للعلم:

بدأ طلب العلم كما ذكر ذلك الإمام الذهبي رحمه الله وهو في سن ١١ من عمره، ولما بلغ ٢١ من عمره بدأ يدرّس ويُفتي ويحدّث.

لفته: وفي هذا رسالة إلى شبابنا وأبناءنا بأن يهتمّوا بالعلم في الصِّغَر، فكما قيل: العلم في الصِّغَر كالنقش على الحجر. فهو يثبت ويرسخ ولا يكاد يضمحل.

ثالثاً: ثناء العلماء عليه:

الإمام مالك رحمه الله أُثنِيَ عليه ثناءً عطراً، فمن العبارات المشهورة: لا يُفتى ومالك في المدينة.

ونادى منادٍ في موسم من مواسم الحج: أن لا يُفتي في المناسك إلّا مالك.

قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله: إذا ذُكِرَ العلماء فمالك النجم.

وقال عنه ابن عيينة رحمه الله: مالك عالم أهل الحجاز وهو حجّة أهل زمانه.

وقال بقيّة رحمه الله مخاطباً الإمام مالك: ما بقي على وجهه الأرض أعلم بسنّة ماضية منك يا مالك.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: ما رأيتُ رجلاً أرتفع مثل ما أرتفع مالك وليس بكثير صلاة ولا صيام ولكن ربّما للرجل سريرة لا يعلمها إلّا الله.

رابعاً: حُلمُه وأخلاقه:

كتب عبد الله العمري العابد كتاباً للإمام مالك رحمه الله: أن يتفرّغ للعبادة وأن يتفرّد بالعمل فردّ عليه مالك برسالة لطيفة فيها من أدب العلماء وأخلاق الكرماء فلم يرد بجفوة ولا غلظة، بل قال له: أما بعد فإن الله قد قسّم الأعمال كما قسّم الأرزاق فرُبَّ رجلاً فُتِحَ له الصوم ولم يُفتَح له في الصلاة وآخر فُتِحَ له في الصلاة ولم يُفتَح له في الصدقة وآخر فُتِحَ له في الجهاد، وأنا فُتِحَ لي في العلم ونشره فأنا راضٍ بما قسم الله لي، وما أظن أنما أنا فيه بدون ما أنت عليه وأرجو أن يكون كلانا على خير.

وقال من رأى الإمام مالك: يدع الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقانِ نور الوقار وعز سلطان التقى فهو المهاب وليس ذا سلطانِ.

قال رحمه الله لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلّم الأدب قبل العلم.

خامساً: ورعه:

الإمام مالك رحمه الله مثالاً يُحتذى به في تورّعه في الفتوى فكان يقول: إذا أخطأ العالِم (لا أدري) أُصيبَت مقاتله.

قال الهيثم بن جميل: سمعتُ مالك يُسأل في ٤٨ مسألة فأجاب عن ٣٢ بـ لا ادري.

لفته: كانوا رحمهم الله لا يتجاسرون على الفتوى وعلى التحليل والتحريم من عند أنفسهم وهذا درس لكل من يفتي من عند نفسه في وسائل الإعلام ووسائل التواصل وينشر الأحاديث الضعيفة التي لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فليكن الإنسان ورعاً عن ذلك فلا أحد أظلم ممن أفترى على الله كذباً ليظل الناس بغير علم. قال تعالى: [قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ(٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ(٧٠)].

﴿يونس﴾. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفق عليه

يقول عبد الرحمن بن مهدي: سأل رجل من أهل المغرب مالك بن أنس عن مسألة فقال: لا أدري، فقال الرجل: يا أبا عبد الله تقول لا أدري؟ قال رحمه الله: نعم، فقال الرجل: مالك نجم السنن يقول: لا أدري؟ قال رحمه الله: نعم، فأبلغ من وراءك أن مالك لا يدري".

ألّف كتاباً سُمِّيَ بالموطأ جلس يؤلّفه ٤٠ سنة وبعد أن أتمَّه قال: عرضتُه على ٧٠ فقيهاً من فقهاء المدينة فلمّا وافقوني عليه وواطئوني عليه سميتُه الموطأ.

خامساً: وفاته:

توفي رحمه الله سنة ١٧٩هـ؛ فقد نزل به مرض اقعده في البيت ما يقارب ٢٠ يوماً، فلمّا حانت ساعة الرحيل قال من حضر عنده من أهله أنه رحمه الله جعل يتشهّد ويقول: لله الأمر من قبل ومن بعد، وفاضت روحه إلى ربها.

قال أسد بن موسى: رأيتُ مالكاً بعد موته، وعليه ثياب خُضُر، وهو على ناقة بين السماء والأرض، فقلتُ: أليس قد متّ؟! قال: بلى، قلتُ: فإلى ماذا صرتَ؟ قال: قَدِمْتُ على ربي وكلّمني كِفاحاً وقال: يا أبا عبد الله سلني أعطك وتمنَّ عليَّ أرضك.

الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

أولاً: التعريف بشخصيته:

سنقف مع استاذ الفقه، فهو الفقيه الذي جمع الله له بين الرواية والدراية لذلك أحبَّه أهل الحديث وأهل النظر.

اسمه: محمد بن أدريس بن العباس وينتهي نسبه إلى عبد بن مناف بن قصي بن كلاب، فهو في نسبه من نسب النبي صلى الله عليه وسلم؛ ويُكنَى بـ أبي عبد الله.

عاش يتيماً فقد مات أبوه وهو صغيراً، ولكن قامت عليه أم صالحة فاضلة كريمة.

ليس اليتيم يتيم الأم والأب ... ولكنما اليتيم يتيم الأخلاق والأدب

ولد: سنة ١٥٠هـ، وهي السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة.

ثانياً: بداية طلبه للعلم:

ابتدأ طلب العلم منذ الصغر، فقد وُلِدَ في فلسطين وبالتحديد في أرض غزة وبعد سنتين من ولادته أخذته أمه إلى مكة المكرمة وهناك طلب العلم وكانت أمه تعمل كي توفّر له مصاريف الطلب.

قبل بلوغه حفظ القرآن الكريم، وفي سن ١٢ من عمره حفظ موطأ الإمام مالك.

قال رحمه الله عن نفسه: وأُدخِلتُ في حِلَق العلم وكانت أمي لا تجد ما تعطيه للمعلّم فكان يرضى مني إذا غاب أخلفه في تعليم الصبيان حتى تعلّمتُ القرآن، ثم دخلتُ المساجد اقرأ على المشايخ والعلماء فَنَبُلَ في الفقه.

وكان في أول أمره مال نوعاً ما إلى الأدب والشعر فنصحه ناصح بأن عقله هذا يصلح أن يكون فقيه الأمة فأتّجه رحمه الله إلى الفقه.

لفته: ومن هناء نأخذ فائدة أن الأبناء يُوجّهون على حسب مداركهم ورغباتهم لما يعود بالخير عليهم وعلى أهليهم ومجتمعاتهم.

ثالثاً: ثناء العلماء عليه:

الأمام الشافعي رحمه الله أثناء عليه العلماء ثناءً عطراً فمن ذلك:

قال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمه الله: قلتُ لأبي أي شيء هذا الشافعي؟ فقد سمعتُك كثيراً تدعو له، فقال الإمام أحمد رحمه الله: يا بُني إن الشافعي كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للأبدان فانظر هل ترى لهذين من عوض أو هل ترى لهما من خلف.

وقال أيوب بن سويد: ما ظننتُ أني سأعيش حتى أرى كالشافعي.

وقال بحر بن نصر: ما رأيتُ في عصر الشافعي أورع ولا أتقى لله منه، ولا أحسن صوتاً بالقرآن منه رحمه الله.

رابعاً: عبادته وورعه:

كان الإمام الشافعي رحمه الله مشهوراً بالعبادة وشدة الورع وهذه خصلة مباركة طيبة تكون في العالِم وطالب العلم، فليس العلم مجرّد جمع معلومات وحفظ آيات وأحاديث ومتون علمية بل هناك عمل وورع وخوف من الله تعالى.

قال حسين بن الكرابيسي: بتُّ عند الشافعي ٨٠ ليلة فكان يصلّي ثلث الليل يقرأ خمسين أو مائة آية لا يتجاوزها، فإذا مرَّ بآية رحمة سأل الله من فضله له وللمؤمنين، وإذا مرَّ بآية عذاب تعوّذ بالله منها له وللمؤمنين.

فقال الحسن: فكنّا نرى أن الله قد جمع له بين الرجاء والرهبة.

وقال عنه الربيع بين سليمان وهو من أخصّ تلامذته: كان الشافعي قد جزّء الليل ثلاثة أجزاء ثلث يكتب وثلث يصلي وثلث ينام.

علّق الذهبي رحمه الله في كتابه سير أعلام النبلاء على هذا بقوله: والأفال الثلاثة كلها عبادة بالنيّة.

لفته: لننظر لحال علماء الأمة رحمهم الله وكيف كان حالهم مع الليل، وبالمقابل كيف هو حالنا اليوم مع الليل فكم لنا نصيب في هذا الليل من قراءة للقرآن ومن الصلاة وقراءة كتب العلم؟!

قال عبد الله بن الحكم للإمام الشافعي رحمه الله: لو قدمتَ مصراً لأسكنتُك في بيت، وأجريتُ عليك قوت سنة، وعززتُك في مجلس الأمير، فردّ الإمام الشافعي رحمه الله بقوله: يا أبا محمد من لم تعزّه التقوى فلا عزّة له، ولقد ولدتُ بغزة ورُبّيتُ بالحجاز وليس لي ولأمي قوت يوم وليلة و والله ما بتُّ ليلة جائعاً.

الشافعي له مقولة مشهورة تدل على ورعه في لسانه حيث يقول: والله ما حلفتُ بالله كاذباً ولا صادقاً.

كان رحمه الله كثيراً ما يمسك العصا قالوا له: لِمَ تدمن إمساك العصا ولستَ بضعيف، فقال رحمه الله: لأتذكّر أني مسافر.

خامساً: اتباعه للسنّة وتعظيمها لها:

مما عُرِفَ عن الإمام الشافعي رحمه الله تمسّكه بالسنة وكان يقول: إذا وجدتم في كتابي هذا خلاف سنة رسول الله فخذوا بسنة رسول الله ودعوا ما في كتابي.

قال رجل للشافعي رحمه الله: إذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولاً لبعض العلماء الذين من قبلك، أتأخذ بالحديث؟ قال: فصاح الشافعي وعلا صوته وغضب وقال: تراني في كنيسة؟! تراني في بيعة؟! ترى على وسطي زنّاراً؟! إذا قلت بقول على خلاف الحديث فاعلم أن عقلي قد ذهب.

وهو القائل رحمه الله: إذا صلح الحديث فهو مذهبي.

فائدة: ذكر الإمام الصنعاني رحمه الله في كتابه سبل السلام في كتاب الطهارة:

أن أكل لحم الأبل ينقض الوضوء، وفي مذهب الشافعية لا ينقض الوضوء. فعلّق الإمام الصنعاني بقوله: بل هذا هو مذهب الشافعي لأن الشافعي يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي وقد صح الحديث في صحيح مسلم.

فعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ» قَالَ أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ» قَالَ: أُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: أُصَلِّي فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «لَا».

سادساً: درر من أقواله:

-طلب العلم أفضل من صلاة النافلة: وهذا يدل على فقهه رحمه الله، فالإنسان إذا أكثر من صلاة النافلة على حساب طلب العلم فإنه بصلاة النافلة ينفع نفسه ولكنه إذا تعلم فبعلمه ينفع نفسه وغيره.

فالإمام الشافعي رحمه الله ينظر إلى أن الأعمال المتعدّية النفع أفضل من الأعمال قاصرة النفع وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم كقوله صلى الله عليه وسلم: (ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف مسجدي شهرا).

ولو جمع الإنسان بين الحسنيين كان أفضل.

الناس بالناس ما دام الحياة بهم ... والسُعد لا شك تارات وهبات

وأفضل الخلق ما بين الورى رجل .... تُقضى على يده للناس حاجات

سابعاً: وفاته:

توفي سنة ٢٠٤هـ، وعلى هذا فقد عاش الإمام الشافعي رحمه الله ٥٤ سنة.

حيث ألمَّ به مرض عضال وعلى أثره فارق الحياة.

دخل عليه المزني وهو أحد تلاميذه فقال له: كيف أصبحتَ يا إمام؟ فقال رحمه الله: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنيّة شارباً، وعلى الله وارداً، ثم قال:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ما زلت ذا عفوٍ عن العبد لم تزل تجود وتعفو منةً وتكرما

توفي رحمه الله ليلة الجمعة آخر ليلة من شهر رجب وصُلِّيَ عليه بعد صلاة عصر يوم الجمعة بمصر.

الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى

أولاً: التعريف بشخصيته:

نقف مع إمام أهل السنة والجماعة، قال عنه الإمام الذهبي: هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً.

اسمه: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

جات به أمه حَمَلاً في بطنها من بلاد مرو إلى بلاد بغداد فوضعته في بغداد في سنة ١٦٤هـ.

ومات أبوه وعمره قد قارب ١٤ سنة من عمره؛ فقامت أمه بتربيته أحسن تربية، وقامت بتأديبه أحسن تأديب وكانت تحثه على الفضائل والأخلاق.

ذكروا في ترجمته أنها كانت تأخذ بيده إلى صلاة الفجر في مساجد بغداد وكانت تنتظره تحت المسجد فإذا أنقضت الصلاة أخذت بيد طفلها وأعادته إلى البيت.

ثانياً: بداية طلبه للعلم:

قال الإمام أحمد رحمه الله عن نفسه: بدأتُ طلب العلم وأنا في سن ١٦ من العمر.

وقد بدت عليه رحمه الله آثار النجابة والحفظ الغزير والذكاء والذهن الوقاد.

ثم أخذ في الرحلة لطلب العلم من بلاد لأخرى فقد ذهب من بغداد إلى البصرة ثم إلى الكوفة ثم توجه إلى مكة وإلى المدينة ثم إلى اليمن ثم إلى الشام ثم غادرها إلى المغرب ثم إلى الجزائر ثم إلى خراسان وإلى بلاد فارس، كل ذلك طلباً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا كانت النفوس كِباراً تعبت في مرادها الأجسام

قال رحمه الله عن نفسه: وما تزوّجتُ إلّا بعد الأربعين وحصّلتُ خيراً كثيراً.

ثالثاً: ثناء العلماء عليه:

قال علي بن المديني رحمه الله: نصر الله الإسلام برجلين لا ثالث لهما أبو بكر يوم الرّدة، وأحمد يوم المحنة.

وقال عنه أحمد الدورقي: من سمعتموه يذكر أحمد بسوء فاتّهموه على الإسلام.

وقال سعيد بن خليل الخزاز: لو كان أحمد في بني اسرائيل لكان آية.

وقال أبو عمرو النحاس: على الدنيا ما كان أصبره، وبالصالحين ما كان أشبهه، وبالماضين ما كان ألحقه، أتته الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.

وقال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث —مليون حديث– فقيل له: وما أعلمك بذلك؟ فقال: دارستُه فيها.

قال الإمام الذهبي رحمه الله معلقاً على هذا الأثر: وإنما يعنون بذلك الأحاديث المرفوعة بتكرار طرقها وسندها وكذلك الآثار وأقوال التابعين والتفاسير أما المتون القوية الصحيحة لا تبلغ معشار ذلك.

رابعاً: حُلمُه وأخلاقه وورعه:

قال أبو داود: ما كان أحمد يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من الدنيا، فإذا ذُكِرَ العلم تكلّم.

وكان رحمه الله متواضعاً للشيوخ حيث كان رحمه الله شديد التواضع لشيخه يحي بن معين وكان أكبر منه فقط بـ ٧ سنين.

وكان يكرم كبار السن ويتواضع لهم فأحبّه الناس.

يقول علي بن أبي فزارة: كانت أمي مقعدة منذ ٢٠ سنة وقالت: يا بني اذهب إلى أحمد بن حنبل وقل له يدعو لي بالشفاء، فذهب إليه وقال له: إن أمي مقعدة منذ

٢٠ سنة فأدع الله لها بالشفاء، فغضب الإمام أحمد وأحمرّ وجهه وقال: أنا أحق أن تدعو لي أمك. فلما أنصرف الرجل دعا لها.

(وهذا درس في نزع الغرور من القلب وكذا في عدم تعلّق الناس بالأشخاص فلم يدع لأم الرجل أمامه حتى لا يُعتقد فيه).

فلما أنصرف الرجل إلى بيته فوجد امرأة تخرج من الدار فإذا بها أمه، فقال ما هذا يا أماه؟ قالت: وهب الله العافية.

وكان رحمه الله يحضر مجلسه ٥٠٠٠ شخص، ٥٠٠ يكتبون، والبقية يأخذون من أدبه وسمته وهديه.

وكان رحمه الله مربّياً فقد سُئِلَ عن الفتوّة؟ فقال: ترك ما تهوى لِمَا تخشى.

قال عبد الصمد بن سليمان: بتّ ليلة عند الإمام أحمد فلما حضر النوم أتاني بالوضوء لكي أصلّي من الليل فلما أتى الفجر فوجد الماء على حاله فقال: طالب حديث ولا يكون له ورد من الليل، فقال: رحمك الله كنتُ مسافر، قال: ولو كنتُ مسافر.

قال رحمه الله عن نفسه: ما كتبتُ حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم إلّا علمتُ به ولو مرة، ومرَّ بي حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم واعطى أبا طيبة الحجّام دينار، فاحتجمتُ وأعطيتُ الحجّام دينار.

وهذه هي ثمرة العلم: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلّا أرتحل.

كان ما يتمثل بهذه الأبيات ويُسمع بكائه وهو ينشد هذه الأبيات:

إذا ما خلوتَ الدهر يوماً ... فلا تقل خلوتُ ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

أتى الإمام أحمد رحمه الله رجل من الثغور فقال: يا أبا عبد الله والله أني أسمع المجاهدين يجاهدون في سبيل الله وهم يدعون لك، فبكى رحمه الله وقال: نحن مساكين مساكين لولا ستر الله علينا لافتضحنا.

خامساً: محنة الإمام أحمد:

المحن ربما يجني منها المسلم المنح بصبره وإيمانه وعلمه أنها من الله، فلن تُنال الإمامة في الدين إلّا بالصبر واليقين.

فالإمام أحمد رحمه الله أُمتحِنَ امتحاناً عظيماً في ايام الدولة العباسية، إذ انبراء بعض أهل البدع كـ بشر المريسي الذي نشر بدعة ضالة خبيثة هي القول بخلق القرآن الكريم؛ وكان الإمام أحمد قد عاصر أربعة من خلفاء الدولة العباسية وهم: المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل.

فبدأت الفتنة أيام المأمون وكان المأمون يعتقد هذه العقيدة المعتزلية الضالة وهي القول بخلق القرآن.

وكان الخليفة المأمون بالغزو فقيل له: أن أحمد بن حنبل يقول بخلاف ما تقول، فاستدعوه وخرجوا به من بغداد محمولاً مقيّداً، فدعا الله أن لا يرى المأمون ولا يراه المأمون فاستجاب الله دعوته فلما كان في الطريق جاء خبر موت الخليفة المأمون.

فتولى الخلافة بعده المعتصم وكان من أشد الخلفاء على الإمام أحمد وقرّب هؤلاء المبتدعة الضالة.

وأمتحن الإمام أحمد فقال له: يا أحمد قل بما أقول، فقال الإمام أحمد: وماذا أقول؟ قال: قل إن القرآن مخلوق.

فقال الإمام أحمد: أتوني بآية أو حديث وأنا أجيبكم.

فأتى الخليفة بعلماء البدع والضلال فناظروا الإمام أحمد فما استطاعوا عليه بل أفحمهم رحمه الله.

قال رحمه الله: كيف أقول أن القرآن مخلوق والله يقول في كتابه الكريم: [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ] {التوبة:٦}. فكيف يكون القرآن مخلوق؟؟؟

فقام المعتصم وأتى بالجلّادين وأمرهم بضرب الإمام رحمه الله.

ضُرِبَ رحمه الله الضربة الأولى فقال: بسم الله، ثم ضُرِبَ الضربة الثانية فقال: توكلتُ على الله، ثم انهالوا عليه بالضرب حتى فقد وعيه وأُغمِيَ عليه، فقال أحد علماء الضلال للخليفة: اقتله ودمه في رقبتي!! فأبى المعتصم ذلك وسجنه ما يقارب ١٠ سنوات.

ومات المعتصم وجاء بعده الواثق وكان خفيفاً لم يتعرّض للإمام أحمد بسوء حتى مات الواثق وجاء بعده المتوكل الذي نصر السنة وأخرج الإمام رحمه الله من السجن وأظهر قوله وفتح له المسجد ليحدّث وقرّبه منه فكان لا يقضي في أمر حتى يستشير الإمام أحمد رحمه الله.

أما هؤلاء علماء البدع والضلال فكانت عاقبتهم معجّلة في الدنيا فمنهم من أُصيب بالفالج ومنهم من قُتِل.

سادساً: وفاته:

توفي رحمه الله سنة ٢٠٤ هـ، حيث ألمت به حمى شديدة فكان رحمه الله يئن من شدتها فقيل له: يا إمام إن طاووس يكره الأنين عند المرض، فما سُمِعَ يئن بعد ذلك.

وشيّع جنازته خلق كثير، وكان رحمه الله يقول في حياته: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز.

رحم الله هؤلاء الأئمة الأعلام وجمعنا الله بهم في جناته